Abhat Journal, Volume. 18, Issue. 2, September 2026

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index
https://doi.org/10.37375/aj.v18i2.4297

خطاب خير الدين التونسي النهضوي ومفارقاته الفكرية

د. فاطمة محمّد عبد الله لملوم
محاضر بقسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة سرت– ليبيا
Fatmamohamed 1977@yahoo.com

الملخص:

يتناول هذا البحث الخطاب النهضوي لخير الدين التونسي بوصفه أحد أبرز رواد المشروع الإصلاحي في العالم العربي في القرن التاسع عشر. ويُعدّ خير الدين أنموذجًا للمفكر الإصلاحي الذي سعى إلى بناء رؤية توفيقية تجمع بين الأصالة الإسلامية ومنجزات الحضارة الأوروبية، مع الحرص على صون الهوية الإسلامية والثقافية. وعرض مشروعه الفكري في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، مقدمًا قراءةً فكريةً نقديةً لأسباب تقدم أوروبا وتراجع المجتمعات الإسلامية، وداعيًا إلى الإفادة من التجربة الأوروبية في إطار يحافظ على ثوابت الأمة وهويتها. ويناقش البحث الأسس الفكرية التي قام عليها خطاب خير الدين التونسي، والمتمثّلة في الدعوة إلى إصلاح مؤسسات الدولة الإدارية والاقتصادية والثقافية، واعتماد مبدأ الشورى في إدارة شؤون الدولة، والأخذ بأسباب التقدّم العمراني والحضاري الأوروبي. كما يبرز منهجه في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة دون التفريط في الهوية الإسلامية أو المساس بخصوصية الشعوب العربية. ويتناول البحث كذلك المفارقات الفكرية التي ميَّزت خطابه الإصلاحي، ومن أبرزها سعيه إلى التوفيق بين المرجعية الإسلامية ومتطلبات الدولة الحديثة، مع الدعوة إلى إصلاح مختلف مجالات الحياة. ويخلُص البحث إلى أنّ خطاب خير الدين التونسي يمثّل مرحلةً تأسيسيةً في الفكر النهضوي العربي بتقديم رؤية توفيقية تجمع بين الحداثة الغربية والفكر الإسلامي، مع التأكيد على الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية. وفي المقابل تكشف المفارقات الفكرية في مشروعه النهضوي عن التباين بين رؤيته الإصلاحية الطموحة والواقع السياسي والاقتصادي والثقافي الذي سعى إلى تطبيقها فيه.

الكلمات المفتاحية:

المشروع النهضوي، الإصلاح السياسي، الفكر العربي المعاصر، أقوم المسالك.

معلومات النشر:

تاريخ الاستلام: 2026/07/19
تاريخ القبـــول: 2026/08/06
تاريخ النشـــر: 2026/09/01

Khair al-Din al-Tunisi's Reformist Discourse and Its Intellectual Paradoxes

Fatima Mohamed Abdoulla Lamloum
Lecturer, Department of Philosophy, Faculty of Arts, Sirte University -Libya
Fatmamohamed1977@yahoo.com

Abstract:

This paper examines the reformist discourse of Khair al-Din al-Tunisi, who is regarded as one of the leading pioneers of the reform movement in the Arab world during the nineteenth century. He is considered a model of reformist thought that sought to establish a reconciliatory vision combining Islamic authenticity with the achievements of European civilization while preserving Islamic and cultural identity. His intellectual project is presented in his book The Surest Path to Knowing the Conditions of States (Aqwam al-Masalik fi Ma'rifat Ahwal al-Mamalik), in which he offered a critical analysis of the reasons behind Europe's progress and the decline of Islamic societies. He consistently advocated benefiting from the European experience. The study discusses the intellectual foundations of Khair al-Din al-Tunisi's discourse, which called for reforming state institutions, including administrative, economic, and cultural structures, and for adopting rational approaches to public affairs inspired by the causes of European advancement. The research also highlights his method of reconciling authenticity and modernity without abandoning Islamic identity or the cultural particularities of Arab societies. Furthermore, it focuses on the intellectual paradoxes that characterize his discourse, particularly his attempt to reconcile Islamic principles with the requirements of the modern state and comprehensive reform in all areas of life. The paper concludes that Khair al-Din al-Tunisi's discourse represents a foundational stage in modern Arab reformist thought. It contributed to bridging Arab modernity with Islamic thought while emphasizing the preservation of religious and cultural identity. At the same time, it reveals the intellectual contradictions within his reformist project, especially the tension between his reformist vision and the political, economic, and cultural realities in which he sought to implement it.

Keywords:

The Renaissance Project, Political Reform, Contemporary Arab thought, I do the tracks.

Information:
Received: 19/07/2026
Accepted: 06/08/2026
Published: 01/09/2026

©Abhat Journal, Sirte University 2026

المقدمة:

يُعدُّ خيرُ الدين التونسي من أبرز رواد الإصلاح النهضوي في العالم العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر؛ إذ سعى إلى تقديم خطابٍ إصلاحيٍّ عقلاني يهدف إلى النهوض بالمجتمعات العربية الإسلامية، واختار لذلك منهجًا واقعيًا عمليًا أكثر من كونه تنظيريًا بالدعوة إلى إصلاحات سياسية واجتماعية تسهم في إخراج المجتمعات الإسلامية من حالة التراجع التي كانت تعيشها مقارنةً بالتقدم الغربي، داعيًا إلى الإفادة من علوم الغرب وأفكاره مع المحافظة على الهوية الإسلامية.

وفي الوقت نفسه حذَّر من الخطر الاستعماري، مؤكدًا ضرورة تمسُّك الأمم بوحدتها وهويتها ودينها؛ حمايةً لها من الهيمنة الاستعمارية.

وعلى الرغم من أنّ مشروع خير الدين التونسي وخطابه الإصلاحي انطلقا من تونس إلّا أنّ رؤيته تجاوزت الإطار المحلي، واتجهت إلى العالم العربي الإسلامي بأسره، بما حملته من أفكار إصلاحية ذات أبعاد حضارية شاملة.

وقد عرض خير الدين التونسي مجمل أفكاره في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، الذي يُعدّ أهم مؤلفاته، إذ تناول فيه مشروعه النهضوي، موضحًا سبل استفادة الدول الإسلامية من تجارب الدول المتقدمة دون الإخلال بقيم الإسلام وثوابته، كما عرض رؤيته للإصلاحات الإدارية والسياسية والاقتصادية التي رأى أنّها تمثّل الطريق الأمثل للنهوض بالمجتمعات العربية والإسلامية.

وانطلاقًا من ذلك تتمحور **مشكلة الدراسة حول الإجابة عن التساؤلات الآتية:**

- ما الرؤية النهضوية التي قدمها خير الدين التونسي للعالم العربي؟
- ما أبرز المفارقات الفكرية التي صاحبت هذه الرؤية؟
- إلى أي مدى نجح خطابه النهضوي في تحقيق أهدافه؟

وتكمن أهمية هذا البحث في إبراز الدور الإصلاحي الذي اضطلع به مشروع خير الدين التونسي، وبيان أثره في مسار الفكر العربي الحديث، والكشف عن مدى إمكان تطبيق رؤيته الإصلاحية في واقع المجتمع العربي الإسلامي.

أمّا المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي النقدي الذي يعتمد على تحليل أفكار خير الدين التونسي ونقدها في ضوء المصادر الرئيسة، وفي مقدمتها كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك».

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

أولًا: التعريف بشخصية خير الدين التونسي بوصفه رائدًا لمشروع النهضة العربية الحديثة.

ثانيًا: أهم عوامل الحركة الإصلاحية عند خير الدين التونسي.

ثالثًا: رؤية خير الدين التونسي النهضوية ومفارقاتها الفكرية في ضوء الواقع العربي.

أولًا: التعريف بشخصية خير الدين التونسي رائدًا لمشروع النهضة العربية الحديثة.

مولده ونشأته وإنجازاته الفكرية.

يُعدُّ خير الدين التونسي أحد أعلام النهضة العربية، ولُقِّب بـ «أبي النهضة التونسية الحديثة»؛ تمييزًا له من غيره من أعلام النهضة، إذ جمع بين الفكر والعمل السياسي، فأتاحت له المناصب التي تقلدها فرصة تحويل كثير من أفكاره الإصلاحية إلى واقع عملي، كما تجلّى ذلك في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» (أبو حمدان، 1993، ص5–6).

واختلفت الآراء في تحديد سنة ميلاده؛ فمنهم من يرجعها إلى سنة 1237هـ/1822م، ومنهم من يرجح سنة 1238هـ/1823م. وعلى أي حال فإنّ أصوله تعود إلى قبيلة أباظة الشركسية، وقد اختُطف وهو طفل صغير إثر غارة قُتل فيها والده، ولم تفلح محاولاته في العثور على أسرته، وعاش شبابه في عاصمة الخلافة العثمانية خادمًا لدى أحد الأعيان، ثم أُهدي إلى حاكم تونس، فأصبح في رعاية القصر، حيث تلقى علومًا إسلامية ولغوية، غير أنّ تكوينه اتجه أساسًا إلى المجالين السياسي والعسكري، فتدرج في الرتب العسكرية حتى بلغ أعلاها، واستفاد من خبرات المدربين الفرنسيين، فأتقن فنون الحرب الحديثة واللغة الفرنسية (التونسي، 2012، ص31–32).

وألَّف خير الدين التونسي كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» خلال فترة اعتزاله العمل السياسي، بعد أن تفرغ للتأمل في أوضاع العالم الإسلامي، ومقارنتها بما وصلت إليه الدول الأوروبية من تقدم، وقادته هذه المقارنة إلى تأليف هذا الكتاب، الذي صدر سنة 1284هـ/1867م.

وعرَّف خير الدين كتابه بأنّه بحث في أسباب تقدم الأمم وتأخرها، مستندًا إلى ثلاثة مصادر رئيسة، هي: تجربته السياسية، ودراسته للتاريخ السياسي والاقتصادي، وما شاهده خلال رحلاته إلى أوروبا (التونسي، 2012، ص48).

وركّز في مقدمة الكتاب على برنامجه الإصلاحي الموجَّه إلى تونس

خاصة، وإلى الأقطار الإسلامية عامة، كما قدَّم عرضًا لتاريخ أوروبا وما سماه «التمدن الأوروبي»، مبينًا أهم النظم التي أسهمت في نهضتها، وفي مقدمتها التعليم والحرية (التونسي، 2012، ص49).

ودعا خير الدين إلى الإفادة من معارف الغرب وعلومه، وجعل الاقتباس منهجًا للإصلاح؛ إذ رأى أنّ النهضة الأوروبية قامت على الاقتباس من الحضارة العربية الإسلامية، فلا مانع من أنْ تستفيد النهضة الإسلامية الحديثة من منجزات الغرب، شريطة ألّا يمس ذلك الهوية الإسلامية، غير أنّه رأى أنّ هناك ثلاث فئات تعوق هذا الاقتباس، وهي:

– علماء الدين الرافضون لكل معرفة وافدة.

– رجال السياسة المتمسكون بالحكم المطلق.

– عامة الناس الذين يرفضون كل جديد، وإن كان نافعًا (التونسي، 2012، ص51–52).

ثانيًا: أهم عوامل الحركة الإصلاحية عند خير الدين التونسي.

تمثّلت الحركة الإصلاحية عند خير الدين التونسي في الدعوة إلى إصلاح شامل لمختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية، مستفيدًا من منجزات الحضارة الغربية في العمران والتنظيم، مع تركيزه على التعليم بوصفه الركيزة الأساسية للإصلاح؛ ولذلك أسهم في تطوير جامع الزيتونة، وأنشأ المكتبة العبدلية.

كما تميزت الحركة الإصلاحية في تونس بمحاولة الجمع بين السيف والقلم، فشارك خير الدين في العمل السياسي سعيًا إلى تنفيذ مشروعه الإصلاحي، غير أنّ هذه المحاولة لم تحقق أهدافها بسبب معارضة خصومه وسعيهم إلى الاستيلاء على السلطة (شيخ، 2020، ص38).

وفي الوقت نفسه حاول الاستفادة من التجربة الفرنسية في التنظيم والإدارة، مستندًا إلى رؤية فكرية واضحة، إلّا أنّ العقبات السياسية والمعارضة التي واجهها حالت دون تنفيذ مشروعه بالصورة التي كان يطمح إليها (شيخ، 2020، ص39).

ومن أهم المبادئ التي دعا إليها الاستفادة من التجربة الأوروبية في المجالين الاقتصادي والسياسي؛ إذ رأى أنّ مظاهر التقدّم الأوروبي تجلت في تطوير وسائل المواصلات، وتشجيع الحرف والصناعات، وأنّ ما حققته أوروبا من تقدّم مادي إنّما كان ثمرةً لترسيخ قيمتي الحرية والعدل (التونسي، 2012، ص72).

ونلاحظ أنّ خير الدين التونسي سعى إلى نقل ما شاهده في الحياة السياسية الفرنسية إلى حيز التطبيق في بلاده؛ إذ اهتم بتوضيح مفهومي الحرية والعدل وفق الدلالة التي تبلورت في إطار النهضة الأوروبية، مستفيدًا من مشاهداته لأوضاع البلدان الأوروبية. وقد بيَّن أنّ للحرية معنيين هما: الحرية الشخصية والحرية السياسية؛ فالحرية الشخصية تتمثّل في حرية الإنسان في التصرف في شؤونه، وأمنه على نفسه وعرضه وماله، أمّا الحرية السياسية فهي حق الرعية في المشاركة في الشؤون العامة، وإبداء الرأي في السياسات العامة، والمباحثة فيما يحقق المصلحة العامة للدولة (التونسي، 2012، ص116).

وفي المقابل دعا خير الدين التونسي إلى استحداث مجلس للشورى يكون شبيهًا بالمجالس النيابية في أوروبا، ويتكوّن من رجال يتمتعون بالكفاءة العلمية والفكرية، بحيث يكون إصلاح الأمة في مقدمة أولوياتهم. ومن وجهة نظره فإنّ وجود هذا المجلس من شأنه أنْ يحد من استبداد الحاكم، ويخضعه للرقابة والمحاسبة، كما رأى أنّ الحكم المطلق كان من أهم أسباب تراجع العالم الإسلامي، الأمر الذي دفعه إلى المناداة بإقامة نظام سياسي يقوم على مبدأ الشورى (التونسي، 2012، ص116).

ويؤكد خير الدين التونسي أنّ ارتقاء الدولة لا يتحقق إلّا بإرساء دعائم الحرية والعدل وسيادة القانون، في مقابل رفض إطلاق العنان للحكام وأعوانهم في ممارسة الظلم والاستبداد؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى إنهاك الدولة وخرابها، ولذلك شدد على ضرورة مشاركة أهل الحل والعقد ممثلين في أعضاء المجالس النيابية، في إدارة شؤون الدولة (التونسي، 2012، ص117).

وأراد خير الدين التونسي أنْ ينقل إلى المجتمعات الإسلامية –ولا سيما تونس– ما شاهده في أوروبا من تنظيمات سياسية وإدارية حديثة انطلاقًا من إيمانه أنّ نهضة الأمم لا تتحقق إلّا على أساس العدل والحرية. كما أوضح أنّ قوة الدول الأوروبية لم تكن نابعة من العامل الديني وإنّما من حسن تنظيمها السياسي والإداري، والتزامها بسيادة القانون في مختلف جوانب الحياة.

ويرى أنّ استمرار الدولة مرهون بتحقيق العدل وسيادة القانون، ويؤكد أنّ السعادة الإنسانية، وكمال الحرية المؤسسة للعدل، وحسن نظام المجتمع، تكتمل جميعها بما أسماه الأصول الأربعة، وهي: الفلاحة، والتجارة، والأعمال اليدوية، والأعمال الفكرية (التونسي، 2012، ص119). ومن ثَمّ ربط بين الإصلاح السياسي القائم على الحرية والعدل، والإصلاح الاقتصادي، وعدَّ العدل ومحاربة الفساد شرطين أساسيين لنجاح أي إصلاح اقتصادي.

وعلاوة على ذلك تمثّل خطابه الإصلاحي في محورين رئيسين:

أولهما تحديث مؤسسات الدولة، وثانيهما تطوير مؤسساتها السياسية والاجتماعية (أبو حمدان، 1993، ص81). كما دعا إلى مواجهة الغزو الغربي الذي كان يستهدف نهب ثروات المسلمين وطمس هويتهم الثقافية.

ويكشف ذلك أنّ خير الدين التونسي من خلال كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، كان يسعى إلى إقناع رجال الدين والسياسة بضرورة الإصلاح والنهوض بالحياة السياسية والاقتصادية والحضارية، اقتداءً بالتجربة الأوروبية (أبو حمدان، 1993، ص82–83).

أمّا في المجال الاقتصادي فتمثّلت أبرز إنجازاته في تخفيف الضرائب التي أثقلت كاهل التجار، وإصلاح الإدارة، وتأسيس جمعية الأوقاف وبلدية الحاضرة، فضلاً عن مساهمته الفاعلة في إنشاء المدرسة الصادقية، التي عُدت أول مدرسة تُدرَّس فيها العلوم العصرية (الزمرلي، الساحلي، 1986، ص100–101). وأسهمت هذه الإصلاحات في تحقيق مكاسب مهمة للدولة التونسية في عهده.

ومن ذلك يمكن القول إنّ قيام الحركة الإصلاحية في البلدان الإسلامية –ولا سيما تونس– يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسة:

الخطر الغربي المباشر: فقد جاءت حركة الإصلاح استجابةً لما تعرّض له العالم الإسلامي من تحديات نتيجة التقدم الأوروبي في العلوم والتنظيمات الحديثة، الأمر الذي دفع المفكرين إلى الدعوة للاستفادة من التجربة الأوروبية من أجل تحقيق النهضة الاجتماعية والسياسية. وكانت تونس من أوائل البلدان الإسلامية التي انخرطت في حركة الإصلاح في القرن التاسع عشر، سعيًا إلى تجاوز التخلف وتحسين أوضاعها بالانفتاح على الحضارة الغربية والإفادة من نظمها التعليمية والإدارية.

الدعوات الفكرية للمصلحين: إذ دعا رواد الإصلاح في تونس إلى الأخذ بالعلوم الحديثة، والاستفادة من التجارب المعاصرة، مع الحفاظ على الأصالة الإسلامية، واتخذوا من الإصلاحات العثمانية نموذجًا يُحتذى به في الجمع بين الأصالة والتجديد.

الضغط الأوروبي الداخلي: وتمثّل في وجود القناصل والجاليات الأوروبية داخل البلاد، وما مارسوه من ضغوط سياسية واقتصادية، وصلت أحيانًا إلى التهديد باستخدام القوة العسكرية لضمان استمرار الإصلاحات التي تحقق مصالحهم التجارية والقنصلية (سعودي، 2022، ص61–62).

ثالثًا: رؤية خير الدين التونسي النهضوية ومفارقاته الفكرية مع الواقع العربي.

اختلفت النتائج التي آلت إليها إصلاحات خير الدين التونسي عن تطلعاته؛ فقد كان يؤمن إيمانًا راسخًا أنّ الحرية شرط أساس للتقدم والعمران، وأنّ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة لا يتعارض مع الهوية الإسلامية، كما كان يرفض أي تدخّل أجنبي في شؤون البلدان الإسلامية. غير أنّ هذه المبادئ –على الرغم من وجاهتها الفكرية– اصطدمت بواقع عربي اتسم بضعف البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعدم الاستعداد لتقبل الإصلاح، الأمر الذي جعل مشروعه أقرب إلى المشروع الفكري منه إلى المشروع القابل للتطبيق في واقعه التاريخي.

واعتمد خير الدين في مشروعه الإصلاحي على مبدأ الاقتباس الواعي من الغرب، لا على التقليد الأعمى؛ إذ دعا إلى الإفادة من العلوم ومنجزات الحضارة الأوروبية، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية. وفي هذا السياق يقول: إنّ رجال الدين يعلمون الشريعة ولا يعلمون الدنيا... ورجال السياسة يعلمون الدنيا ولا يعلمون الدين... فنقول للأولين: اعرفوا الدنيا، ونقول للآخرين: اعرفوا الدين (أمين، د.س، ص164).

وتتجلى أبرز المفارقات الفكرية في مشروعه فيما يأتي:

أولًا: سعى إلى الاستفادة من التجربة الأوروبية مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، فدعا إلى التجديد في إطار الشريعة الإسلامية، بعيدًا عن التقليد الأعمى أو القطيعة مع التراث، غير أنّ المجتمعات العربية ظلت أسيرة الجمود، الأمر الذي حال دون تقبل هذه الإصلاحات.

ثانيًا: دعا إلى إقامة دولة القانون والمؤسسات، وإرساء مبادئ المشاركة السياسية، وتفعيل المجالس النيابية، وتحديد مسؤوليات الوزراء، في حين ظل الواقع السياسي في معظم البلدان الإسلامية قائمًا على الاستبداد والحكم المطلق. كما أن ضعف الدولة العثمانية، وفساد إدارتها، وتصاعد النزعات الانفصالية، أسهمت جميعها في إجهاض مشروعه الإصلاحي (رحماني، 2023، ص8).

ثالثًا: جعل التعليم الركيزة الأساسية للنهضة؛ إذ انطلق من قناعة أنّ تخلف العالم الإسلامي لا يرجع إلى الدين، وإنّما إلى عوامل اجتماعية وسياسية وثقافية، في مقدمتها الجهل وضعف مؤسسات التعليم. ولذلك أسهم في إنشاء المدرسة الصادقية، وتنظيم التعليم الزيتوني، وإنشاء المكتبة العبدلية، وتشجيع الطباعة والصحافة والنشر (أبو حمدان، 1993، ص44).

ورغم أنّ خير الدين التونسي جعل إصلاح التعليم أساسًا لمشروعه النهضوي إلّا أنّ ضعف المؤسسات التعليمية، والأوضاع السياسية والاقتصادية، حال دون تحقيق أهدافه. وقد حاول في كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» تقديم رؤية إصلاحية تتجاوز أزمات الواقع، وتوفق بين الأصالة والحداثة، وبين الفكر والواقع، وبين الشرق والغرب، إلّا أنّ مشروعه انتهى إلى الإخفاق بسبب الظروف السياسية السائدة، فأمضى بقية حياته متأثرًا بفشل مشروعه الإصلاحي في الدولة العثمانية والأقطار الإسلامية (التونسي، 2012، ص80).

الخاتمة:

توصّل البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

– جسَّد خير الدين التونسي أنموذجًا رائدًا للإصلاح في الفكر العربي الحديث، حتى استحق أنْ يُلقب بـ «أبي النهضة والإصلاح في القرن التاسع عشر»؛ إذ انطلق مشروعه من رؤية إصلاحية شاملة هدفت إلى إصلاح الإدارة والتعليم والاقتصاد، وترسيخ مبادئ العدل والحرية وسيادة القانون.

– يُعدُّ كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» من أهم مؤلفاته، بل ومن أبرز المؤلفات الإصلاحية في الفكر العربي الحديث؛ لما تضمنه من دعوة إلى الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي، وتحذير من مخاطر الاستعمار الأوروبي، وحثٍّ على الأخذ بأسباب النهضة والتقدم.

– دعا خير الدين التونسي إلى الإفادة من تجارب الأمم المتقدمة، والعمل على تحديث المجتمعات الإسلامية دون الوقوع في التبعية للآخر أو التفريط في الهوية الإسلامية.

– تمثّلت أبرز ملامح رؤيته النهضوية في الدعوة إلى الاقتباس الواعي من منجزات الحضارة الأوروبية، وجعل ذلك وسيلةً لتحقيق التقدّم، من غير الدعوة إلى التقليد الأعمى الذي يفضي إلى طمس الهوية العربية الإسلامية، وإنّما بهدف الإفادة من العلوم والمعارف والخبرات الإنسانية.

– على الرغم مما اتسم به مشروعه الإصلاحي من عمق فكري وبُعدٍ استشرافي، فإنّه لم يحقق أهدافه كاملة؛ بسبب اصطدامه بجملة من المعوقات، من أبرزها ضعف مؤسسات الدولة، واستبداد الحكام، والتدخل الأجنبي في شؤون البلاد، والسيطرة على مواردها، فضلًا عن معارضة أصحاب المصالح الذين رأوا في الإصلاح تهديدًا لنفوذهم ومكاسبهم. وأوجد ذلك فجـوةً بين رؤيته الفكرية المتقدمة وإمكانات تطبيقها في الواقع العربي آنذاك.

ومع ذلك ظل مشروع خير الدين التونسي أحد أهم المشروعات الإصلاحية التي أسهمت في ترسيخ أسس الفكر النهضوي العربي، ومهدت الطريق لبناء الدولة الحديثة القائمة على الإصلاح، وسيادة القانون، وتحقيق المصلحة العامة.

المصادر والمراجع.

– أمين، أحمد. (د.ت)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت.

– أبو حمدان، سمير. 1993. خير الدين التونسي: أبو النهضة التونسية، ط1، دار الكتاب العالمي، بيروت.

– التونسي، خير الدين. 2012، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: مُحَمَّد الحداد، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

– رحماني، فاطمة الزهراء. 2023. موقف خير الدين التونسي من قضايا عصره في الدولة العثمانية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، المجلد 7، العدد 25.

– الزمرلي، الصادق، والساحلي، جمادي. 1986. أعلام تونسيون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

– سعودي، سهام. 2022. الإصلاح السياسي عند خير الدين التونسي من خلال كتابه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» (1822–1889)، رسالة ماجستير، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.

– شيخ، ياسين. 2020. خير الدين التونسي: حياته وأطروحاته الإصلاحية، رسالة ماجستير، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر.